نصح الرفاق فيما ورد في ذم العراق

تأليف : أبي عبد الرحمن المجمعي الاثري

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ آل عمران (١٠٢).

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إنَّ الله كان عليكم رقيباً**﴾ النساء (١).

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً**﴾ الأحزاب (٧٠-٧١).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي

هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فقد أمر الله تبارك وتعالىٰ المسلمين أن يستبينوا سبيل المجرمين.

كما قال جلا وعلا: الأنعام (٥٥).

﴿**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**﴾.

قال ابن كثير رحمه الله (٣/٣):

أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل.

وعند القرطبي:

أي ولتظهر الحق ولتسبين.

قال الزجاج:

والخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته.

قلت:

لابد من كشف وإظهار طرق وسبل المجرمين وفضح

ما عندهم من دسائس وبيان ما ورد عنهم من الذم والتحذير. وهذه سنة الله جلا وعلا في خَلْقِهِ وهذا أصل من أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة وهو بيان ما عند المخالف من اعتقادات باطلة وأفكار كاسدة وآراء منحرفة وأخلاق فاسدة كما حذر السلف طوائف من المبتدعة القدرية والجبرية والمعتزلة.

وهذه الرسالة التي بين يديك يا أخي بيان وتوضيح ما ورد علىٰ لسان الصادق المصدوق ﷺ في ذم بلدة العراق والتحذير من الفتن والبلايا التي ما فتئت تهب وتُثار من جهتهم.

وبيان ما ورد عن الصحابة والتابعين والأئمة في هذا الموضوع المهم عسىٰ أن يبعث فينا الحيطة والحذر والأهبة والاستعداد ليوم التناد من هذا الجار الذي مُلِيء بالاستكبار والعناد.

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ثم النصيحة للمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه أبو عبدالرحمن المجمعي الأثري

الأحاديث المرفوعة في ذم العراق

ثبتت أحاديث عن النبي ﷺ في ذم العراق بلفظ المشرق وبالنص «العراق» وهذا القدح من الصادق المصدوق بله والتحذير منهم لما انطوت عليه أخلاقهم الفاسدة ومذاهبهم الكاسدة من الغدر والخيانة والكذب وسب الله جل وعلا ورسوله ﷺ وإليك طائفة من الأحاديث في ذلك:

الحديث الأول: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:

صلىٰ رسول الله ﷺ الفجر ثم أقبل علىٰ القوم فقال:

«اللهم بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مُدِّنا وصاعنا، اللهم بارك لنا في حَرَمنا، وبارك لنا في شامِنا».

الحديث الأول:

رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٣٨٤) رقم (١٣٤٢٢) وإسناده صحيح.

وأخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في «التاريخ والمعرفة (١٢/٧٤٦ - ٤٤٧) وإسناده حسن ضمرة بن ربيعة صدوق يهم قليلاً بلفظ «وعراقنا». وصححه شيخنا في تخريج أحاديث فضائل الشام للرَّبْعي ص٢٤.

فقال رجل:

وفي العـراق، فسكت، ثم أعاد قال الرجل: وفي عراقِنا؟ فسكت، ثم قال: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا**» فأرض عنه وقال: «**فيها الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**».

الحديث الثاني: وعن ابن عمر قال: قال ﷺ:

«**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**» قالوا:

وفي نجدنا قال:

«**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**».

الحديث الثالث: وعن ابن عمر قال:

الحديث الثاني:

رواه البخاري فتح الباري (١٣/ ٤٥) كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق رقمة (٧٠٩٤).

والترمذي في كتاب المناقب باب فضل الشام واليمن رقم (٣٩٥٣) (٥/ ٧٣٣) وقال حسن صحيح غريب.

الحديث الثالث:

أخرجه أحمد(٥٦٤٢).

وقال عنه أحمد شاكر رحمه الله تعالىٰ: إسناده صحيح. =

صلىٰ رسول الله ﷺ الفجر ثم سلم فاستقبل مطلع الشمس فقال:

«**ألا إن الفتنة ههنا ألا إن الفتنة ههنا حيث يطلع قرن الشيطان ولها تسعة أعشار الشر**».

الحديث الرابع: وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق:

«**الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**». قالها مرتين أو ثلاثاً.

= ورواه الطبراني في الأوسط رقم (١٩١٠) (٢/ ٥٢٩).

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٧) رواه الطبراني في الأوسط وأحمد ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبدالرحمن بن عطاء وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر ا هـ.

الحديث الرابع:

إسناده حسن، أبو بشر خلف البصري صدوق.

والحديث أخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في التاريخ والمعرفة (٢/ ٧٤٨).

الحديث الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«رأس الكفر نحو المشرق، والفخرُ والخيلاءُ في أهل الخيل والإبل والفدَّادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم».

الحديث السادس: وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

الإيمانُ يمان والكفرُ من قِبل المشرق، وإنَّ السكينة في أهل الغنم، وإنَّ الرياء والفخر في أهل الفدَّادين: أهل الوبر وأهل الخيل، ويأتي المسيح من قِبل المشرق، وهِمَّتُهُ المدينة، حتىٰ إذا جاء دُبُرَ أُحُدٍ تلقته الملائكة فضربت وجهه قبل الشام، هنالك يهلك، هنالك يهلك».

الحديث الخامس:

رواه البخاري فتح الباري (٦/ ٣٥٠) رقم (٣٣٠١).

الحديث السادس:

رواه البخاري الفتح رقم (٣٣٠٢).

الحديث السابع: عن ابن عمر أن مولاة له أتته، فقالت:

اشتد علي الزمانُ، وإني أُريد أن أخرج إلىٰ العراق. قال:

فهلا إلىٰ الشام أرض المنشر؟ واصبري لكاع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من صبر علىٰ شِدَّتها ولأوائها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة».

الحديث الثامن: عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ:

«غلظ القلوب والجفاء في أهل المشرق والإيمان والسكينة في أهل الحجاز».

الحديث السابع:

أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب ما جاء في فضل المدينة (٣٠٧٧) صحيح الترمذي للألباني.

الحديث الثامن:

رواه مسلم مختصر صحيح مسلم رقم (٤٠).

الحديث التاسع: وعن عقبة بن عمرو أبي مسعود مرفوعاً:

«ألا وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدَّادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلُع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر».

قلت: وهذه صفة ذميمة وخصلة قبيحة في أهل المشرق.

وهي فظاظة وغظاظة القلوب وجفاء النفس والله جل وعلا مدح نبيه ﷺ أنه لم يكن فظاً غليظ القلب:

قال تعالىٰ في سورة آل عمران (١٥٩):

﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

وأخبر النبي ﷺ أن أهل الجنة هم الضعفاء المغلوبون وأهل النار المستكبرون.

الحديث التاسع:

أخرجه البخاري فتح الباري بدء الخلق رقم (٣٣٠٢) (٦/ ٣٧٠) باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال.

وكما قال رسول الله ﷺ[1] وذلك من حديث حارثة بن وهب:

«ألا أُخبركم بأهل الجنة؟
كل ضعيف مُتَضَعِّف لو أقسم علىٰ الله لأبره.
ألا أُخبركم بأهل النار؟
كُلُّ عتل جواظ جعظري مستكبر».

قال الحافظ[2]:

الفخر: الإعجاب بالنفس.

والخيلاء: بضم المعجمة وفتح التحتانية والمد: الكِبْر واحتقار الغير.

الفدَّادين: المراد به البقر.

جمع فدان وهو من يعلو صوته في إبله وخيله وحرثه.

والفديد: هو الصوت الشديد.

وقال أبو العباس:

الفدادون هم الرعاة الجمالون:

---

(١) رواه البخاري فتح الباري كتاب التفسير سورة القلم رقم (٤٩١٨) فتح الباري (جـ ٨ ٥٣٠).

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٥٢).

قال الخطابي[٣]:

إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم، وذلك يُفضي إلىٰ قساوة القلب.

قلت:

في هذه الأحاديث الصحيحة وهذه النصوص النبوية الصريحة تحذير وترهيب من الفتن التي تخرج وتصدر من العراق، منبع الفتن.

وفيها ذم لهذا البلد مصدر الحروب والويلات.

ولا يظنن ظان أن «نجد» التي وردت في حديث النبي ﷺ هي نجد الحجاز فإن هذا خطأ.

قال الخطابي[٤]:

نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق، ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة.

وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور

(٣) المصدر السابق.
(٤) فتح الباري (١٣/٤٧).

فإنه ما انخفض، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة.

وقال الحافظ[٥]:

وعُرِفَ بهذا وهاء ما قاله الداودي أنَّ نجداً موضع من ناحية العراق، فإنه توهم أن نجداً موضع مخصوص، وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلىٰ ما يليه يسمىٰ المرتفع نجداً والمنخفض غوراً. انتهىٰ.

وقال الكرماني[٦]:

النجد هو ما ارتفع من الأرض والغور ما انخفض منها ومن كان بالمدينة الطيبة صلىٰ الله علىٰ ساكنها كان نجده بادية العراق، ونواحيها، وهي مشرقُ أهلِها انتهىٰ.

معنىٰ النجد في اللغة.

النجد: مصدر معناه، الرفعة والعلو يقال لكل شيء عال نجد، ولكل قطعة من الأرض مرتفعة عما حواليها.

قال في المعجم الوسيط[٧]:

النَّجد: ما ارتفع من الأرض وصلب.

(٥) المصدر السابق.
(٦) شرح البخاري للكرماني (٢٤/١٦٨).
(٧) المعجم الوسيط.

قال الكرماني رحمه الله[٨]:

ولعل المراد من الزلازل الاضطرابات التي بين الناس ليُناسب الفتن مع احتمال إرادة حقيقتها.

ما الحكمة من ترك النبي ﷺ الدعاء لأهل المشرق.

قال المهلب[٩]:

إنما ترك ﷺ الدعاء لأهل المشرق ليضْعُفُوا عن الشر الذي هو موضوع في جِهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن.

المراد من «قرن الشيطان»:

قال الكرماني رحمه الله[١٠]:

القرن في الحيوان يُضرب به المثل فيما لا يُحمد من الأمور.

وقال العيني[١١]:

(٨) شرح البخاري للكرماني (٢٢/١٦٨).
(٩) فتح الباري (١٣/٤٦) وعمدة القاري (١٩/٨٤).
(١٠) شرح البخاري للكرماني (٢٤/١٦٨).
(١١) عمدة القاري (٢٠/٨٤).

ذهب الداودي إلىٰ أن للشيطان قرنين علىٰ الحقيقة وذكر الهروي أن قرينه ناحيتي رأسه.

وقيل:
هذا مثل: أي حينئذٍ يتحرَّك الشيطان ويتسلَّط.

وقيل:
القرن القوة أي تطلع حين قوة الشيطان. انتهىٰ.

قال الخطابي:

القرن الأمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين وقرن الحية أن يُضرب المثل فيما لا يحمد من الأمور.

وذهب الداودي إلىٰ أن للشمس قرناً علىٰ الحقيقة ويحتمل أن يُريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به علىٰ الإضلال قال عنه الحافظ[١٢]:

وهذا أوجه.

قال الجوهري[١٣]:
قرن الشمس أعلاها.

(١٢) فتح الباري (١٣/٤٦).
(١٣) عمدة القاري (١٩/٨٤).

قال النووي[١٤]:

قرنا الشيطان جانبا رأسه، وقيل: هما جمعاه اللذان يغريهما بإضلال الناس.

وقيل:

شيعتاه من الكفار، والمراد بذلك اختصاص المشرق بتسلط الشيطان ومن الكفر.

قال العيني[١٥]:

وإنما أشار ﷺ إلىٰ المشرق لأن أهله يومئذ كانوا أهل كفر، فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية وكذلك كانت وهي وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق. ومقتل الحسين رضي الله عنه.

وكانت الفتنة الكبرىٰ التي كانت مفتاح فساد ذات البين قتل عثمان رضي الله تعالىٰ عنه. اهـ.

وقال النووي[١٦]:

(١٤) شرح مسلم للنووي (٢/٢٤).
(١٥) عمدة القاري (٢٠/٨٤).
(١٦) شرح مسلم للنووي (٢/٢٤).

والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان، ومن الكفر كما قال في الحديث الآخر، رأس الكفر نحو المشرق، وكان ذلك في عهده حين قال ذلك، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفرة الترك الغاشمة العاتية الشديدة البأس. انتهىٰ.

قلت:

وقد تحقق ووقع ما أخبر به النبي ﷺ عنه فإنَّ كثيراً من الفتن العظمىٰ والمحن الكبرىٰ كان مصدرها العراق مثل:

الحروب بين علي والزبير بن العوام مع طلحة بن عبيدالله (وقعة الجمل).

ووقعة صِفِّين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

وهي أنظف وأطهر حرب شهدها التاريخ.

قال أبو أمامة[١٧]:

شِهدتُ صِفِّين، فكانوا لا يجيزون علىٰ جريح ولا

(١٧) إسناده صحيح أخرجه الحاكم (٢/١٥٥) والبيهقي (٨/١٨٢).

يطلبونَ مُوَلِّياً، ولا يسلبون قتيلاً!

ذم بعض مدن العراق:

وكذلك جاء ذم بعض مدن العراق علىٰ لسان الصادق المصدوق ﷺ مثل.

البصرة:

١) كما قال رسول الله ﷺ[١٨]:

«يا أنس إنَّ الناس يُمصِّرون أمصاراً وإنَّ مِصْراً يقال لها البصرة أو البُصيرة، فإن أنت مَرِرْتَ بها أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلَّاءها وسوقها، وباب أُمرائها، وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسفٌ وقذفٌ ورجفٌ، وقوم يبيتون يُصبحون قردة وخنازير».

الشرح:

سباخها: سبخت الأرض سبخاً: كانت ذات نَزٍّ وملح فهي سبخة (المعجم الوسيط ١/٤١٢).

---

(١٨) رواه أبو داود في كتاب الملاحم رقم (٤٣٠٧) (٤/٤٨٨ - ٤٨٩ معالم السنن.
وهو حديث صحيح.

كَلَّاءها: شاطىء النهر، والموضع الذي تُربط فيه السفن وهو هنا اسم موضع منها (معالم السنن ٤/٤٨٩).

قلت: وهذا الذم والقدح من النبي ﷺ لانتشار المعاصي والذنوب فيها خاصة في أسواقها وباب أمرائها وإن كان لا بد من السكنىٰ فيها فيكون بناحية الضواحي التي فيها.

قال مسلم بن أبي بكرة[١٩]:

٢) سمعت أبي يحدث أن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل ناس من أُمتي بغائط يُسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسرٌ يكثر أهلها، وتكون من أمصار المسلمين»، فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين حتىٰ ينزلوا علىٰ شط النهر، فيتفرق أهلها ثلاث فِرق:

فرقة يأخذون أذناب البقر والبَرِّيَّة وهلكوا.
وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا.

---

(١٩) رواه أبو داود في كتاب الملاحم رقم (٤٣٠٦) (٤/٤٨٨).
وإسناده حسن.

وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء.

الشرح:

الغائط: البطن المطمئن من الأرض.
والبصرة: الحجارة الرخوة، لما دخلها المسلمون قالوا: هذه أرض بصرة، يعني حصيبة بناها عتبة بن غزوان.
وبنو قنطوراء: هم الترك يقال: إن قنطور اسم جارية كانت لإبراهيم صلوات الله عليه ولدت له أولاداً جاء من نسلهم الترك. والله أعلم.

الكوفة مبدأ ظهور الفتن:

نشأت فِرْقتا الروافض والخوارج بالكوفة وهي الواقعة من جهة المشرق من المدينة.

وكان مركز الروافض الكوفة.

وكان موضع إقامة الخوارج منطقة حروراء وهي قرية على نحو ميلين من الكوفة.

أحاديث خروج الخوارج من العراق:

عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال[٢٠]:

«يخرج ناسٌ من قِبل المشرق ويقرءون القرآن لا يُجاوزُ تراقيهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية».

قال الحافظ[٢١]:

تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة إلى مكة المشرفة.

وهاتان الفرقتان اللتان ظهرتا بالكوفة مصدر الشر قد غالتا وأفرطتا في بُغض وحب علي رضي الله عنه، فعن أبي التياح عن أبي السواد قال: قال علي[٢٢]:

---

(٢٠) رواه البخاري فتح الباري: (١٢/٢٨٤).
(٢١) فتح الباري (١٣/٥٣٦).
(٢٢) إسناده صحيح أخرجه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة رقم (٩٥٢ - ٩٦٤) (٢/٥٦٥).

ليحبني قوم حتىٰ يدخلوا النار في حُبِّي.
وليبغضني قوم حتىٰ يدخلوا النار في بُغضي.

وكما قال أبو محمد الأندلسي القحطاني رحمه الله في نونيته الذهبية:

لا تنتقِصْهُ ولا تزِدْ في قدْره
فعليه تصلىٰ النار طائفان
إحداهما لا تَرْتضيه خليفةً
وتَنُصُّهُ الأُخرىٰ إلهاً ثانِ

ظهور فرق الضلالة والبدع من العراق:

وظهرت القدرية في العراق.

روىٰ مسلم في صحيحه عن يحيىٰ بن يعمر أنه قال[٢٣]:

كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجُهني.

قال الإمام الأوزاعي[٢٤]:

أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن ـ كان نصرانياً فأسلم ثم تنصَّر فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد.

وفي مطلع القرن الثاني ظهر أربعة أشخاص من الضُّلَّال المبتدعة صار فيها كل واحد منهم رأساً في الضلال والإضلال.

---

(٢٣) مسلم كتاب الإيمان رقم (٨) (١/٣٦) وأبو داود في كتاب السنة باب في القدر رقم (٤٦٩٥) (٤/٦٩ ـ ٧٠) والترمذي في كتاب الإيمان رقم (٢٦١٠) وأخرجه اللالكائي في شرح إعتقاد أصول السنة والجماعة (١/٢٥).

(٢٤) أخرجه اللالكائي (١/١٣٩).

وهؤلاء هم:

الأول: واصل بن عطاء [ت ١٣١].
مؤسس فرقة المعتزلة.

الثاني: الجعد بن درهم [ت ١٢٤] مولىٰ سويد بن غفلة سكن دمشق فلما أظهر القول بخلق القرآن تطلبه بنو أُمية فهرب إلىٰ الكوفة منبع الفتن ومصدر الضلال ومأوىٰ البدع.

الثالث: الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقني [ت ١٢٨].

تبنىٰ آراء الجعد بن درهم وهي:

١) نفي صفات الخالق تبارك وتعالىٰ.
٢) القول بخلق القرآن.
٣) القول بالجَبْر أي الإنسان مجبور علىٰ أفعاله.
٤) القول بأن الإيمان هو المعرفة.
٥) القول بفناء الجنة والنار.
٦) القول بأن علم الله حادث.

الرابع: مقاتل بن سليمان.

قال الإمام الذهبي: تذكرة الحفاظ:

ظهر بخراسان الجهم بن صفوان، ودعا إلىٰ تعطيل الرب عز وجل وخلق القرآن وظهر بضالته مقاتل بن سليمان المفسِّر، وبالغ في إثبات الصفات حتىٰ جسَّم!

وفي تاريخ بغداد ٣/١٦٤.

قال أبو حنيفة رحمه الله:

أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل ومقاتل مُشبه.

اختيار النبي ﷺ جند الشام وجند اليمن وسكوته ﷺ عن جند العراق.

عن ابن أبي قُتيلة عن ابن حوالة قال[٢٥]: قال رسول الله ﷺ:

«سيصير الأمر إلىٰ أن تكون جنوداً مُجنَّدة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق».

(٢٥) أخرجه أبو داود معالم السنن (٣/١٠) رقم (٢٤٨٣) باب سكنىٰ الشام وأحمد ٢/١١٠ والربعي في فضائل الشام ٢ وهو حديث صحيح.

قال ابن حوالة: أيها خير لي يا رسول الله إنْ أدركتُ ذلك، فقال:

«عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، فإما إنْ أبيتم فعليكم بيمنكم واسْقُوا من غُدُرِكم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله».

شرح الحديث:

عبدالله بن حوالة الأزدي أبو حوالة صحابي نزل الشام ومات بها سنة ثمان وخمسين وله اثنان وسبعون سنة.

الغُدُر: جمع غَدير وهي القطعة من الماء يغادرها السيل.

ما يستنبط من الحديث:

أخبر النبي ﷺ عن ثلاثة جنود جند بالشام وبدأ به لفضله وسبقه وجند باليمن وجند بالعراق فاختار النبي ﷺ لعبدالله بن حوالة الالتحاق بجند الشام أو اليمن والانضمام إليه، وأهمل وسكت عن الجند الآخر وهو جند العراق!

إتهام أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

عن جابر بن سمرة قال[٢٦]:

شكا أهلُ الكوفة سعداً إلىٰ عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتىٰ ذكروا أنه لا يُحسن يصلي فأرسل إليه فقال.

يا أبا إسحاق إنَّ هؤلاء يزعُمون أنك لا تُحسن تُصلي. قال أبو إسحاق:

أمَّا أنا والله فإني كنت أُصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها. أُصلي صلاة العشاء فأرْكُدُ في الأُولَيْن وأخف في الأُخريين. قال: ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجُلًا ـ أو رجالاً ـ إلىٰ الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يَدَعْ مسجداً إلا سأل عنه، ويُثنون معروفاً حتىٰ دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يُكنىٰ أبا سعْدة قال:

أما إذْ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسَّريَّة ولا يقسم

(٢٦) رواه البخاري فتح الباري (٢/٣٣٦).

بالسَّويَّة، ولا يعدلُ في القضية، قال سعد:

أما والله لأدْعُوَنَّ بثلاث:

اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام مقام رياءً وسُمعة، فأطِلْ عمره، وأطل فقره، وعرِّضْهُ بالفتن.

وكان بعدُ إذا سئل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوة سعد.

قال عبدالملك:

فأنا رأيتُهُ بعدُ قد سقط حاجباه علىٰ عينيه من الكبر، وإنه ليتعرَّضُ للجواري في الطرق يغمزهُنَّ.

قلت:

ومن افتراء ومين أهل الكوفة علىٰ سعد رضي الله عنه أنهم شكوه في كل شيء حتىٰ في الصلاة!!

كما قال عمر لسعد[٢٧]:

لقد شكوك في كل شيء حتىٰ الصلاة..!

---

(٢٧) رواه البخاري فتح الباري (٢/٢٥١).
والمعرفة والتاريخ.

وقد فنَّد سعد هذه الفرية الباطلة كما تقدم وقد اتهموه اتهامات باطلة.

قال الزبير بن بكار في «كتاب السنن»:

رفع أهل الكوفة عليه أشياء كشفها عمر فوجدها باطلة، ويقويه قول عمر في وصيته:

فإني لم أعزِلْه من عجز ولا خيانة، وكناه عمر بأبي إسحاق، أكبرَ أولاده، وهذا تعظيم من عمر له، وفيه دلالة علىٰ أنه لم تقدح فيه الشكوىٰ عنده[٢٨].

وقال سعد:
أتعلمني الأعراب الصلاة.

قال الحافظ[٢٩]:

وفيه دلالة علىٰ أن الذين شكوه لم يكونوا من أهل العلم. وكأنهم ظنوا مشروعية التسوية بين الركعات فأنكروا علىٰ سعد التفرقة، فيُستفاد منه ذم القول بالرأي الذي لا يستند إلىٰ أصل.

---

(٢٨) الفتح (٢/٢٣٨).
(٢٩) الفتح (٢/٢٣٩).

وفيه أن القياس في مقابلة النص فاسد الاعتبار.

(لا يسير بالسرية): الباء للمصاحبة والسرية: قطعة من الجيش ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف أي لا يسير بالطريقة السَّرِيَّة أي العادلة، والأول أولىٰ لقوله بعد ذلك:

«ولا يعدل»، والأصل عدم التكرار، والتأسيس أولىٰ من التأكيد، ويؤيده رواية جرير وسفيان بلفظ: «ولا ينفر في السَّرية».

قوله في القضية: أي الحكومة.

قلت:

والحاصل أن هذا الرجل الكوفي نفىٰ عن سعد الصحابي الجليل خال الرسول ﷺ وأول من رمىٰ بسهم في سبيل الله وهو من العشرة المبشرين في الجنة. نفىٰ عنه الفضائل.

قال الحافظ ابن حجر[٣٠] عند قوله: لأدعون بثلاث، والحكمة في ذلك أنه نفىٰ عنه الفضائل الثلاث وهي:

١) الشجاعة حيث قال: «لا ينفر».

(٣٠) الفتح (٢/ ٢٣٩).

٢) والعفة حيث قال: «لا يقسم».
٣) والحكة حيث قال: «لا يعدل».

فهذه الثلاث تتعلق بالنفس والمال والدين فقابلها بمثلها: فطول العمر يتعلق بالنفس وطول الفقر يتعلق بالمال، والوقوع في الفتن يتعلق بالدين..

صفات أهل العراق*:

وهناك مزايا وصفات لأهل العراق وصفوا ونُعتوا بها فهي بهم لاصقة لازمة لازقة لازبة.

الصفة الأولىٰ:

استعظام الصغيرة والتساهل بالكبيرة:

يدل علىٰ ذلك حديث ابن عمر:

عن ابن أبي نُعم سمعت عبدالله بن عمر وسأله عن المُحْرم يقتل الذباب فقال[٣١]:

أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ هما ريحانتاي من الدنيا.

وعن عبدالرحمن بن أبي نُعْم: أن رجلاً من أهل العراق يسأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب؟ فقال ابن

---

(٣١) رواه البخاري الفتح (٧/ ٩٥) (٣٧٥٣).

عمر[٣٢]:

انظروا إلىٰ هذا يسأل عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا**».

قال الحافظ ابن حجر[٣٣]:

أورد ابن عمر هذا مُتعجباً من حرص أهل العراق علىٰ السؤال عن الشيء اليسير، وتفريطهم في الشيء الجليل.

وقد حدثت لي حوادث مع بعض الجنود العراقيين تدل علىٰ تساهلهم بالكبيرة وتشددهم بالصغيرة أيام الاحتلال وذلك أن ابني خرج وذهبت أبحث عنه إنْ كان حيًّا أوْ

---

(٣٢) رواه البخاري فتح الباري رقم (٣٧٥٣) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٩٥/٧).
والترمذي في كتاب المناقب رقم (٣٧٧٠) باب مناقب الحسن والحسين عليه السلام (٦٥٧/٥) وقال صحيح وأحمد (٩٣/٢، ١١٤).

(٣٣) فتح الاري (٩١/٧).
رواه مسلم في صحيحه مختصر صحيح مسلم كتاب الفتن (١٩٩٧).

لا. وأوْقفني بعضُ الجنود بقوة السلاح بعد أن أشهروه في وجهي وأخذ يفتش في السيارة ووجد بعض الكتب ثم سألني هذا السؤال:

إني قد أخذت «سرقت» كتاب حياة الحيوان ولم أدفع ثمنه وهل هذا حرام؟

فقلت:

سبحان الله احتلال أرض واستحلال دم المسلم وهتك الأعراض والنهب والسلب والتخريب أهون عنده من سرقة كتاب ثمنه ديناران!!!.

أليس يدل هذا دلالة واضحة علىٰ أن هذه الخصلة الذميمة لم تزل باقية عندهم.

قال سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة!!

سمعت أبي عبدالله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إنَّ الفتنة تجيء من هاهنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان.

الحادثة الثانية :

لما اعتقلت ظلماً وعدواناً ومعي بعض أصحابي وذهبوا بنا إلىٰ العراق شاهدنا ورأينا وسمعنا في هذا السجن أموراً منكرة سمعنا الكفر والشرك بالله عز وجل والأخلاق السيئة والشذوذ الجنسي . . وسمعت أحدهم يسُبُّ الله سبحانه وتعالىٰ سباً قبيحاً فظيعاً!!

قلت له : ألا تتقي الله جل وعلا لا تسب الله سُبَّ أحداً من أهلي ولا تسب الله ، قال لي :

أستغفر الله أسب أمك وأباك لالا .

قلت : سبحان الله هذا مخلوق ضعيف لا تسبه وهذا الخالق العظيم تسبه إذا كنت رجلاً سب رئيسك الحاكم فسكت .

ولما أنكرت عليه مرة ثانية قال لي : الله قرايبك!! وقال : أنا كافر ملحد!!

أخي القارىء الكريم :

ليس هذا هو الوحيد فقط ولكن هناك الكثير والكثير جداً لا بارك الله فيهم .

ولما أنكرت عليهم مع بعض أصحابي قال لي أحدهم لا تتعب نفسك يا فلان فإن هذا الأمر هو شيء عادي بين العراقيين!!

أقوال أهل العلم في أهل العراق وفي العراق

لقد حذر الأئمة العظام من أهل العراق من كذبهم في حديث رسول الله ﷺ والزيادة عليه.

١) قال الإمام مالك رحمه الله[٣٤]:

إذا خرج الحديث عن الحجاز انقطع نخاعه.

٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله:

كل حديث جاء من العراق، وليس له أصل في الحجاز فلا تقبله.

٣) وقال أيضاً[٣٥]:

إياكم والأخذ بالحديث الذي جاءكم من بلاد أهل الرأي إلا بعد التفتيش.

---

(٣٤) تدريب الراوي ص٣٧.

(٣٥) الميزان للشعراني.

٤) قال الإمام مالك: أخذ ربيعة الرأي بيدي، فقال[٣٦]:

وربِّ هذا المقام، ما رأيت عراقياً تامَّ العقل.

٥) وقال محمد بن الحسن الشيباني[٣٧]:

كنت عند مالك فنظر إلىٰ أصحابه، فقال:

انظروا إلىٰ أهل المشرق، فأنزلوهم بمنزلة أهل الكتاب إذا حدثوكم، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، ثم التفت فرآني فكأنه استحيىٰ، فقال:

يا أبا عبدالله أكره أن تكون غِيبة. هكذا أدركت أصحابنا يقولون.

٦) عن أبي الوليد عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: سألني:

(٣٦) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٠) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥٧).

(٣٧) رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٥٨).

ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة.

فقال:

بئس القوم بني سبائي وحروري!

٧) وذم ابن عمر[٣٨] أهل العراق فقال حبيب بن أبي ثابت: سمعت ابن عمر يقول:

يا أهل العراق تأتونا بالمعضلات.

٨) كان هشام بن عروة يقول[٣٩]:

إذا حدثك العراقي بألف حديث فألْق تسعمائة وتسعين، وكن من الباقي في شك.

٩) قال الإمام الزهري[٤٠]:

إذا سمعت بالحديث العراقي فارْدُدْ به ثم ارْدُدْ به. إذا أوغل الحديث هناك.

١٠) وقال عن حديث سمعه من رجل من أهل

(٣٨) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٥٩) بإسناد صحيح.

(٣٩) تدري الراوي ص٣٨.

(٤٠) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٦٠) وإسناده حسن.

الكوفة:

«أفسدته إنَّ في حديث أهل الكوفة دغلاً كثيراً».

الدغل: دَغَلَ فلان بفلان خانه واغتاله ودغل في الأمر أفسده.

والدغل: عيب في الأمر يُفسده [المعجم الوسيط ٢٨٨/١].

قال إبراهيم بن نافع[٤١]:

١١) سمعت طاووس اليمني ثم المكي، يقول:

إذا حدثك العراقي مائة حديث فاطرح تسعاً وتسعين قال: ورأيت طاووساً عقدها.

١٢) عن نُبيه بن وهب قال[٤٢]:

خطب رجل من قريش إلىٰ أبان بن عثمان وهو أمير الموسم فقال:

ألا أراه عراقياً حافياً إنَّ المُحرم لا يَنكح ولا يُنكح أخبرنا بذلك عثمان عن رسول الله ﷺ.

(٤١) المعرفة والتاريخ (٧٥٧/٢) وإسناده صحيح.

(٤٢) المعرفة والتاريخ (٧٥٦/٢) وإسناده صحيح.

وقد عقد الغزالي فصلاً في إحيائه ٢٦٧١/٤ في ذم وقدح العراق.

قال:

وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلىٰ المعاصي والأسباب التي تدعو إليها، لأجل التنفير عن المعصية مذمومة، فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتىٰ اتفق جماعة علىٰ ذم بغداد، أو إظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك:

١٣) قد طفت الشرق والغرب فما رأيت شراً من بغداد.

قيل:

وكيف؟ قال:

هو بلدٌ تُزْدَرىٰ فيه نعمة الله، وتُستصغر فيه معصية الله، ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد؟

قال: ما رأيت بها إلا شرطياً غضبان، أو تاجراً لهفان أو قارئاً حيران» ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتىٰ يُسْتَنْصَر ذلك الشخص به، وإنما قصد بذلك تحذير الناس.

وكان يخرج إلىٰ مكة، وقد كان مقامُهُ ببغداد، يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم دينار كفارة لمقامه وقد ذم جماعة كعمر بن عبدالعزيز، وكعب الأحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولىً له:

أين تسكن؟ فقال العراق. فقال: فما تصنع به، بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قيض الله له قريناً من البلاء.

وقال بعض أصحاب الحديث:

كنا يوماً عند الفضيل بن عياض، فجاءه صوفي متدرع بعباءة، فأجلسه إلىٰ جانبه، وأقبل عليه ثم قال:

أين تسكن؟ فقال: بغداد، فأعرض عنه وقال:

يأتينا أحدهم في زي الرهبان، فإذا سألناه أين تسكن قال في عِش الظلمة!

وكان بشر بن الحارث يقول:
مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش.

وكان يقول:

لا تقتدوا بي في المقام بها، من أراد أن يخرج فليخرج.

وكان أحمد بن حنبل يقول: لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي. قيل وأين تختار السكنىٰ؟

قال: بالثغور.

وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد:
زاهدهم زاهد وشريرهم شرير. انتهىٰ.

عن الزهري قال[٤٣]: قالت عائشة:

يا أهل العراق أهل الشام خير منكم، خرج إليهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كثير فحدثونا بما نعرف، وخرج إليكم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قليل فحدثتمونا بما نعرف وما لا نعرف. إسناده حسن المعرفة ٢/٧٥٦.

وقال الزهري أيضاً[٤٤]:

يخرج الحديث عندنا شبراً فيرجع ذراعاً ـ يعني من العراق ـ قال:

(٤٣) المعرفة والتاريخ (٢/٧٥٦) وإسناده حسن.
(٤٤) المعرفة والتاريخ (٢/٧٦١) وإسناده صحيح.

وأشار بيده إذا أوغل الحديث هناك بدا وبدا. إسناده صحيح المعرفة ٢/٧٦١.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه[٤٥]:

ما رأيت قوماً أسأل عن علم ولا أترك له منكم يا أهل العراق.

قلت:

في هذا الأثر ذم لأهل العراق لأن من صفتهم كثرة الأسئلة حول علوم الشريعة (وهذا أمر محمود وهو الحرص على الأسئلة التي هي سبيل لطلب العلم والامتثال والطاعة لربنا جل وعلا ولمحمد ﷺ).

لكن يأتي الذم والقدح لعدم العمل بما تعلَّمه المسلم وقد ذم أبو الدرداء أهل العراق لوجود هذه الخصلة الذميمة بهم.

وعن مالك[٤٦]:

(٤٥) المعرفة والتاريخ (٢/٧٧٢) وإسناده حسن.

(٤٦) هذا الأثر فيه ضعف لأنه من بلاغات الإمام مالك لكن رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/٧٥١) من طريق فرات القزاز وإسناده صحيح.

أنه بلغه أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الأحبار:

لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين، فإن بها تسعة أعشار السحر، وبها فسقة الجن وبها الداء العُضال. «فقيل: وما الداء العضال؟ قال: أهواء مختلفة ليس لها شفاء».

وفي هذا العصر احتضن العراق حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أسَّسه النصراني الحاقد ميشيل عفلق الذي قال عنه الشاعر القروي:

هبوني عيداً يجعل العرب أمة
وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم!!!

وقال:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له
وبالعروبة ديناً ما له ثاني!!

فالعراق أرض خصبة لاحتضان الأحزاب العلمانية والنحل الفاسدة والملل الكاسدة.

وإن شئت المزيد عن هذا الحزب فارجع إلىٰ كتاب حزب البعث تاريخه وعقائده لأخينا سعيد بن ناصر الغامدي.

وأود أن أختم هذه الرسالة بأبيات شعرية جمعها الحافظ المُعَمَّر أبو طاهر السِّلفي وضَّحَ فسق المبتدعة وأهل الضلال والكفر في قصيدة له رائعة.

مطلعها:

دعـوني عن أسـانيد الضـلال
وهـاتـوا من أسـانـيدٍ عوالي

وذكر أئمة أهل السنة والجماعة كمالك والأوزاعي وابن المبارك ووكيع والشافعي ويحيىٰ بن سعيد والإمام أحمد وإسحاق وغيرهم رحمهم الله.

فلا تصحب سوىٰ السُّنِّي ديناً
لتُحْمـد ما نصحتُك في المآل
وجـانـبْ كلَّ مُبـتـدع تراه
فما إن عنـدهـم غيرُ المُحـال
ودع آراء أهـل الـزَّيْغ رأساً
ولا تغْـرُرْك حذلـقـة الـرُّذالي

وقـول أئمـة الـزَّيْغ الـذي لا
يشـابهُهُ سوىٰ الـداء العضـال
لمعـبـد المُـضـلَّلِ في هواه
وواصـل أو كغـيلان المِحـال
وبـعـدٍ ثم جَهْـم وابـن حَرْب
حميرٌ ويسـتـحـقـون المخـالي
وثـور كاسمِـهِ أو شئت فاقلبْ
وحفْص الفـرْد قرْدٍ ذي افتعـال
وبشر لا رأىٰ بُشرىٰ فمـنـه
تولـد كُلُّ شرٍّ واخـتـلال
واتـبـاعُ ابـن كُلَّاب كِلابٌ
علىٰ الـتـحـقيق هم من شر آل
كذلـك أبـو الهُـذَيل وكان مولىً
لعـبـد القيس قد شان المـوالي
ولا تنس ابـن أشرس المُكـنَّىٰ
أبـا معْـن ثمامَـةَ فهـو غالي
ولا ابن الحـارث البصْري ذاك
المُضِـلَّ علىٰ اجتهـاد واحتفـالِ
ولا الـكـوفيَّ أعـنيه ضرار بن
عمـرو فهـو للبصري تالِي

كذاك ابنُ الأصم ومن قفاه
من أوباش البهاشمة النِّعال
وعمروٌ هكذا أعني ابن بحْر
وغيرهم من أصحاب الشِّمال
فرأيِ أُولاءِ ليس يُفيدُ شيئاً
سوىٰ الهذيان من قيل وقال

قال الذهبي معقباً عليه بالثناء:

صدق الناظمُ رحمه الله وأجاد، فلأن يعيش المسلم أخرس أبكم خيرٌ له من أن يمتلىء باطِنه كلامٌ وفلسفةٌ!

تنبيه:

هذا الذم والقدح الذي جاء من النبي ﷺ وعن صحابته والتابعين والأئمة عن العراق ليس المقصود منه أن الخير والفلاح والإيمان لا يوجد في أهل العراق، فلا تزال هناك بقية خير وطائفة متمسكة بكتاب ربنا عز وجل وبُسنة نبينا ﷺ نسأل الله عز وجل أنْ يكثر من سوادهم وأن يحقق الخير علىٰ أيديهم.

قال الإمام الذهبي[٤٧] عن كلمة الإمام مالك المتقدمة:

هذا القول من الإمام قاله: لأنه لم يكن له اعتناءٌ

بأحوال بعض القوم، ولا خبر تراجمهم، وهذا هو الورع. ألا تراه لما خَبَرَ حال أيوب السَّخْتياني العراقي كيف احتج به وكذلك حُميد الطويل، وغير واحد ممن روىٰ عنهم.

وأهل العراق كغيرهم فيهم الثقة الحجة والصدوق والفقيه والمقرىء والعابد، وفيهم الضعيف والمتروك والمتَّهم. وفي الصحيحين شيء كثير جداً من رواية العراقيين رحمهم الله.

وفيهم من التابعين كمثل:

علقمة ومسروق وعبيدة والحسن وابن سيرين والشعبي وإبراهيم ثم الحكم وقتادة ومنصور وأبي إسحاق وابن عون ثم مِسْعِد وشعبة وسفيان والحمَّادَيْن، وخلائق أضعافهم رحم الله الجميع.

قلت:

فهؤلاء القوم الذين ذكرهم الإمام الذهبي رحمه الله تعالىٰ قد أقاموا صرح الإسلام، ونافحوا عن السنة ونبذوا ما خالفها، وأثبتوا صفات الله عز وجل وأبطلوا رجس التأويلات الفاسدة والآراء المنحرفةالكاسدة.

ونافحوا عن السنة وبيَّنوا حُجيتها ونشروها بين الناس.

وحـذروا المسلمين من الأحاديث الموضوعة والواهية والضعيفة. فرحمهم الله تعالىٰ.